دمي يحتل بركان الندى ...

عصام ترشحاني

من اين ابدا ؟
انها ذبحت
على جبل « العزيز »
ونام اخوتها على دمها ،
مخافة ان يجامعها الحريق
فتحتويه ،
وينهضان الى القيامة
مرة اخرى
ابدد صيحتي
من اين ابدا ؟
الجهات تضيق
مقبرة .. تصير ملاعب الاطفال
يتسع الرماد ،
فتذبل الاجساد
والطرق الجميلة تحتفي بدمارها ..
.. .. ..
.. .. ..
والشمس .. والفقراء ...
ان دمي استبد به الجنون
فكل حب ينتشي بغريمه
رابطت ناري الحزينة في الشوارع
من اين ابدا ؟
اقبلت خيلي الكئيبة للشوارع
كل اسماء المداخل
والمنازل
اشهرت غليانها ..
لكن وجهك
مات قبل الفصح
وانهال الفناء عليه
وانهال البكاء عليه
من كل الاقاصي ...

— ٢ —

وبدات انت
خرجت من جثث الكروم
خرجت من انقاضها
وسكنت ذاكرة الجماهير الجديدة .
والزلازل ،
والمدى ..
وبدأت انت ،
رسمت جرحا ساخنا
وعشقته ،
ورسمت شعبا
حاملا بيديه صاعقة ،
ورسمت اسلحة
واطفالا واعنابا ...
وقلت : —
هنا دمي ينمو
ويزدهر الوصول
هنا دمي يحتل بركان الندى ..
ومضيت من حب الى وطن
ومن جوع الى جوع
ومن دم الى كفن
كانت مسيرتك الجليلة تنتهي
في عقر مذبحة
وتساق من ماوى
الى موت
ومن موت الى مأوى ...
وتضيع ما بين الغياب المر
والسكين ...

— ٣ —

وأظل في خوف عليك
أظل مشدودا
الى قمم الدخان ...
وحين تبصرك الدقائق
ارتوي فرحا
واسأل مهجتي
من أي مجزرة نجوت ؟
وكيف أخفيت العواصم خلف ظهرك ،
كيف اوقعت المسافة
بين راسك والرصاصة ،
وانطلقت ؟
تقول اخبار الشواطىء
والمحطات البعيدة :
ان وجهك شاع ما بين الشظايا
وجهك اشتعلت رؤاه من الفجيعة
فاحتواها ..
— ايها المغلول بالارزاء
من نبع الرمال الى مصب الماء —
كيف جمعت موتك
وانتشرت الى فضائك ؟
كيف ألغيت المراسم
والمدائن .. خلسة
نصبت مصائدها
المدائن خلسة فتحت مقابرها ..
يا أيها المسروق من رئتيك ،
كيف صعدت من سهل الضحايا
نحو بعثك ؟
انني أرنو
الى جبل الغزالة
حيث جسمك يرتدي
قمرا وسنبلة
ووجهك يهتدي
بالسيف والشجر المناوب .
انني أمتد .
صوتي خنجر يحميك ،
صوتي يرتقي
لمدارك المطري
صوتي يغسل الغابات
يركض في عروق الصخر والاوراق
يجلو عتمة الاسوار .. يجمعنا ...
يقول الخارجون على الكرامة : —
سوف نسرق عن سواعده القوية
جذوة الانهار ،
نتركه يفتصل موته ،
ننزبفه الابدي ،
او بمشيئة الاعداء
فاحذر ايها المسكون
بالرايات والاجراس
والاوجاع
دمع الليل
وامنح شرفة الوديان ،
نار الارض ،
اني صاعد ،
ودمي يحدد ،
ان في عينيك حلم الانبياء ...